الباب العاشر

القدس ومكانتها الدينية

الباب العاشر

القدس ومكانتها الدينية

عرفت القدس منذ نشأتها بأنها مكان العبادة وإن اختلفت من أمة إلى أخرى في نهج عبادتها ومن لون إلى آخر بيد أن لها نصيبها من إسمها الذي أشتهرت به من القداسة والطهارة حتى في أيام خروجها عن عبادة التوحيد فقد كان المتعبدون فيها يمارسون طقوسهم بتقديس ما يعتقدون أنه إلههم وقد عثر في وثائق رأس شمرا، على قصة، مولد إلهين- سحر: نجمة الزهراء و- شاليم: الذي يفيض بالنور، حتى أنه كان إلهاً لسكان القدس بخاصة، وللكنعانيين بعامة. (1)

ونحن المسلمين نؤمن بما جاء في حديث رسول الله (ﷺ) عندما سأله ابو ذر الغفاري، قال: قلت يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض أولا؟ قال: المسجد الحرام، فقلت يا رسول الله، ثم أي؟ قال: ثم المسجد الأقصى، قلت، كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم حيث أدركتك الصلاة فصلي، فهو لك مسجد) رواه البخاري ومسلم.

كما أن أصحاب الديانات السماوية الأخرى لهم اعتقاد بمكانة القدس في عقائدهم ويتوجهون بصلواتهم صوبها. فتوجهوا صوبها لتثبيت واقع لهم في القدس ببناء الكنس والأديرة والمؤسسات المختلفة ليكون لهم موضع قدم فيها. ولأن القدس ليس بلدا زراعيا أو تجاريا أو اقتصاديا فقد تزاحمت صوبها الأمم والحضارات على مر التاريخ فكان نصيبها أن هدمت واحرقت مرات عديدة فحب أصحاب العقائد المختلفة لها كان سببا في شقائها، ولا يكاد أي بلد على وجه المعمورة تزاحمت عليه الأمم كما تزاحمت على القدس فكانت العنوان لكل الحروب التي جرت عبر التاريخ في هذه الديار. وعندما وفد

(1) عمرو، يونس، القدس مدينة الله، سبق ذكره، ص 35.

إبراهيم الخليل عليه السلام إليها قبل حوالي أربعة آلاف عام وجد ملكها ملكي صادق يدين بالتوحيد.

أما مكانة القدس في العقيدة الإسلامية فمركزيتها لا مراء فيه لما ورد فيها من آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة.

القدس من المنظور الإسلامي

الرباط القدسي بين بلاد الحجاز التي تحوي الكعبة المشرفة، وديار فلسطين التي تحوي بيت المقدس، أزلي منذ أن خلق الله الأرض وما عليها:

أولا: التوأمة بين مكة المكرمة وبيت المقدس، وقد وردت هذه التوأمة في حديث أبي ذر الغفاري.

ثانيا: إن رسالة الإسلام هي وريثة الرسالات السماوية التوحيدية، قوله تعالى:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ ﴾ [1].

ثالثا: الإرتباط القدسي بين القدس ومكة منذ عهد إبراهيم الخليل (عليه السلام) فأخذ ولده وزوجه من فلسطين واسكنهم مكة قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾. [2]

تعززت الروابط بين هذه الأمصار قديما، فكان الحجازيون يأتون إلى هذه البلاد في رحلة الشتاء والصيف، قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾ [3]

---

(1) القرآن الكريم،الشورى، آية رقم 13.

(2) القرآن الكريم، سورة البقرة آية رقم 127.

(3) القرآن الكريم، سورة قريش آية رقم 4.

فلما بزغت الدعوة الإسلامية، وأخذت تتوجه صوب هذه البلاد، كانت الفرصة الأولى للمسلمين عندما انتصر الروم على الفرس ففرح المسلمونبنصر الروم على الفرس كونهم أصحاب كتاب فنزل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾ [1]

القدس في العهد النبوي

في السنة السادسة للهجرة، أوفد رسول الله (ﷺ) إلى هرقل الروم في الشام يدعوه للإسلام.

إن وصول كتاب النبي (ﷺ) إلى هرقل بالقدس جاء في الوقت الذي كان يحتفل فيه بالنصر سنة 628 م أواخر السنة السابعة من الهجرة (لأن الهجرة النبوية كانت في 23 أيلول سنة 622 م واحتفال هرقل بالنصر كان في 14 أيلول سنة 628 م وهو يصادف أواخر السنة السادسة للهجرة.

القدس القبلة الأولى للمسلمين

منذ أن فرضت الصلاة ليلة الإسراء، والمسلمون يتوجهون صوب بيت المقدس إلى أن نزل قوله تعالى: (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره [2].

الرسول الكريم (ﷺ) يبشر بفتح بيت المقدس

أولا: روى الإمام أحمد في مسنده عن عوف بن مالك الأشجعي قال: أتيت النبي (ﷺ)، فقال: عوف؟ فقلت: نعم. فقال: أعدد يا عوف ستاً بين يدي الساعة:

---

(1) القرآن الكريم، سورة الروم، آية رقم 1و2و3و4.

(2) القرآن الكريم، سورة البقرة،آية رقم 144.

أولهن موتي، قال: فاستبكيت حتى جعل رسول الله (ﷺ) يسكتني، قال: قلت إحدى. والثانية: فتح بيت المقدس [1].

ثانيا: وروى الطبراني عن شداد بن أوس أنه كان عند رسول الله (ﷺ) وهو يجود بنفسه، فقال: مالك يا شداد؟ قال: ضاقت بي الدنيا. فقال: ليس عليك، إن الشام ستفتح، وبيت المقدس سيفتح، وتكون أنت وولدك من بعدك أئمة فيهم إن شاء الله تعالى (الإصابة – ترجمة شداد بن أوس) وقد دفن شداد بن أوس بفلسطين.وقال ابن حبان: دفن ببيت المقدس سنة 58 هـ) [2]

سرايا وغزوات الرسول الكريم (ﷺ)صوب الشام هي الطريق إلى القدس

في السنة الخامسة للهجرة النبوية أخذ(ﷺ) يشق طريقه صوب بيت المقدس بالسرايا والغزوات، علّه يرّوض أصحابه لفتح هذه الديار، ولتصل إليها الدعوة الإسلامية.فكانت غزوة دومة الجندل في السنة السادسة للهجرة ندب (ﷺ) عبد الرحمن بن عوف في سرية إلى دومة الجندل.

كان اليهود يسكنون خيبر ويهددون طريق المسلمين فغزاهم (ﷺ) في السنة السابعة وانتصر عليهم في السنة الثامنة حدثت سرية مؤته الشهيرة وفي السنة التاسعة للهجرة كانت غزوة تبوك.

كانت هذه الغزوات والسرايا في عهد رسول الله (ﷺ) البوصلة إلى بيت المقدس، فضائل بيت المقدس وما ورد فيه من آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة.

---

(1) رواه البخاري،/ ك 58/ باب 15 قال عوف، أتيت النبي ( ) في غزوة تبوك، وهو في قبة من أدم ن، فقال أعدد ستا بين يدي يالساعة، موتي، ثم فتح بيت المقدس، والسادسة، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، (الروم)، فيغدرون ن فيأتوكم تحت ثمانين غاية اثنا عشر ألفا ولربما تكون العلامة السادسة هي الحملات الفرنجية) التي بدأت ولم تنته بعد.

(2) شراب، بيت المقدس، سبق ذكره ص 82.

الآيات القرآنية

ورد العديد من الآيات القرآنية الكريمة، في قداسة وطهارة القدس وقد تجلت آية الإسراء في إبراز قداستها قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [1]

وقوله تعالى في مخاطبة سيدنا موسى عليه السلام ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴾ [2]

وأ ن هذه الأرض قد بارك الله فيه للعالمين قوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [3] والآيات القرآنية الكريمة عديدة في هذا الشأن.

الأحاديث النبوية الشريفة

والأحاديث النبوية الشريفة التي تدل على مكانة بيت المقدس وجوهرتها المسجد الأقصى كثيرة وهي:

أولا: الإسراء بالنبي محمد (ﷺ) إلى بيت المقدس.

ثانيا: شد الرحال، قال (ﷺ) (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم.

قال (ﷺ) لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد، إلى المسجد الحرام أو مسجدي هذا، أو إلى مسجد إيليا أو بيت المقدس) رواه الترمذي والنسائي. [4]

---

(1) القرآن الكريم، سورة الإسراء آية رقم 1.

(2) القرآن الكريم، سورة المائدة آية 21.

(3) القرآن الكريم، سورة الأنبياء آية رقم 71.

(4) حديث شريف رواه الترمذي والنسائي (ورد في في كتاب، فضائل بيت المقدس) إلى محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي، ط1، سوريا دار الفكر، ج1، ص 410.

ثالثا: المسجد الثاني على الأرض، عن أبي ذر الغفاري قال: قلت يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض أولا؟ قال: المسجد الحرام، فقلت يا رسول الله، ثم أي؟ قال: ثم المسجد الأقصى، قلت، كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم حيث أدركتك الصلاة فصلي، فهو لك مسجد) رواه البخاري ومسلم.

رابعا: فضل الصلاة ببيت المقدس، قالت ميمونة بنت الحارث: يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس: قال: ارض المحشر والمنشر، أيتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة فيما سواه، قالت: يا رسول الله: أرأيت من لم يطق محملا إليه، قال: فليهد له زيتا يسرج فيه، فمن أهدى إليه شيئا كان كمن صلى فيه. (1)

خامسا: الدجال لا يدخل بيت المقد: عن عبد الله بن مسعود قال: يدخل الدجال الأرض كلها إلا أربعة مساجد وأربع قرى مكة والمدينة وبيت المقدس وطور سيناء، وروى نحوه عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

عن ربيعة بن يزيد قال: قال رسول الله (ﷺ) لا تزالون تقاتلون الكفار حتى تقاتل بقيتكم جنود ببطن الأردن بينكم النهر أنتم غربيه وهم شرقيه، قال ربيعه: فقال المحدث من أصحاب رسول الله (ﷺ) فما سمعت بنهر الأردن إلا من رسول الله (ﷺ). (2)

سادسا:رباط المسلمين ببيت المقدس وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أمامه قال: قال رسول الله (ﷺ): لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا ما أصابهم من اللأواء حتى

---

(1) المصدر نفسه ج1 ص، 50.

(2) الحنبلي، الأنس الجليل، ج1سبق ذكره ص، 234.

يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس.

سابعا: ذكر أن المهدي ينزل ببيت المقدس:عن أبي سعيد ألخدري قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: يخرج رجل من أمتي يقول بسنتي ينزل الله له القطر من السماء، ويخرج له الأرض من بركتها تمتلئ الأرض منه قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يعمل على هذه الأمة سبع سنين وينزل بيت المقدس، قال الطبراني، روى هذا الحديث جماعة عن أبي الصديق، ولم يدخل أحد ممن رواه بينه وبين أبي سعيد الخدري أحد إلاّ أبو الواصل. رواه الترمذي وابن ماجه باختصار، رواه على الحق تكون ببيت المقدس، وأكتاف بيت المقدس.

ثامنا: مضاعفة الحسنات والسيئات في مسجد بيت المقدس

- عن الليث بن سعد عن نافع قال: قال لي ابن عمر، ونحن ببيت المقدس، يا نافع اخرج بنا من هذا البيت، فإن السيئات تضاعف فيه، كما تضاعف الحسنات، وأحرم وخرج من بيت المقدس.

تاسعا: الإهلال بالحج والعمرة من بيت المقدس:عن أم سلمة زوج النبي (ﷺ)أنها سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: من أهلّ بحج أو عمرة من المسجد الأقصى الشريف إلى المسجد الحرام، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة. حدثنا أبو معشر عن نافع بن عمر أنه أحرم عام الحكمين من بيت المقدس (1)

عاشرا: إقطاع تميم الداري الذي أقطعه له النبي (ﷺ). الكائن في أكناف بيت المقدس والذي ما زال يتوارثه التميميون حتى وقتنا الحاضر.

---

(1) المقدسي، فضائل بيت المقدس،ج1، سبق ذكره، ص 89.

فمكانة القدس الدينية متجذرة في العقيدة الإسلامية السمحة التي لا يعتريها شائب وذلك لما لهذه المدينة من عمق في العقيدة الإسلامية منذ العهد النبوي الأول أي منذ أن فتحت على يدي الرسول الكريم بالفتح الروحي في حادثة الإسراء والمعراج، كما أنها فتحت سلما وبحضور الخليفة الراشد عمر بن الخطاب في السنة الخامسة عشرة للهجرة وقد سلمت مفاتيحها من بطريرك القدس صفرونيوس إلى هذا الخليفة الذي ارسى قواعد المحبة والعيش الكريم بين سكانها من مسلمين ونصارى وخط العهدة العمرية التي أصبحت نموذجا للتسامح الديني في فلسطين عبر العصور، كما لا ننسى أن كل خليفة أو سلطان أو ملك أو قائد إلا وترك له فيها أثرا إما وقفا أو مسجدا أو تكية أو حجرا رسم عليه عهده ومنهم من أوصى بأن يدفن في ترابها الطهور أو ينقل رفاته إليها ليتبرك من ثراها ، كان هذا عبر الحضارات الإسلامية المتعاقبة خلال ثلاثة عشر قرنا فالوجود العربي والإسلامي في القدس يعتبر أطول فترات التاريخ في هذه المدينة الخالدة.

فالقدس لم تغب عن بال وفكر العربي والمسلم على مر تاريخها وحتى وقتنا الحاضر فظلت حاضرة في ضميره متغلغلة في وجدانه وإن لم يستطع الوصول إليها بل بقيت متجذرة في عقله وقلبه لأنها جزء من عقيدة المسلم في مشارق الرض ومغاربها وحيثما فتح المسلم صفحات القرآن وقرأ سورة الإسراء يتبادر إلى ذهنه المسجد الأقصى والقدس الشريف الرازح تحت الإحتلال الصهيوني، لقد جسدها المسلمون بالحفاظ على إسمها وذلك إما بتسمية المدن أو الشوارع أو المحال التجارية أو الأماكن الطيبة باسم القدس أو الأقصى أو الصخرة ومنهم من يعلق صورتها على صدره أو على جدران بيته لتظل القدس حاضرة في الوجدان حية في القلوب إلى أن تعود إسلامية عربية مهما طال الزمان وغير من واقعها الإحتلال.